الفصل الرابع

(أخلاق نبيلة ومبادئ قيّمة)

- مبادئ قيمة.
- تفاؤل عظيم.
- شخصية مؤثرة.
- خُلق نبيل.
- كرامة وعزة.
- تنازل مقصود.
- تضحية وإيثار.
- قناعة ورضا.
- حكمة الزوجين.

مبادئ قيّمة

عندما تقدم الزوج طالباً يد زوجته.. لا شك في البداية أنه كانت له مبادئ سامية وراقية وقيمة مقتنع بها، وكذلك الزوجة كانت لها مبادئ وقيم تربت عليها.. ولا شك أن هذه المبادئ قد يختار الإنسان شريك حياته على هذه المبادئ والقيم؛ لأنه اقتنع بها وشعر بداخله أنها قيم ومبادئ عُليا متقاربة من مبادئه الشخصية التي نشأ وتربى عليها على مدار السنوات، والتي يريدها أن تكون في شريكة حياته.

فالثبات على هذه المبادئ يجعل الحياة الزوجية مستقرة جداً، بعيدة عن الخلافات والمشاحنات التى تهدم الحياة الزوجية.. فمثلاً قد اختار الزوج زوجته لمبدأ مهم كأنها متمسكة بخمارها ولباسها الاسلامي، وللأسف الشديد قد يتغير مبدؤها بعد الزواج لأمر ما.. قد يكون قد أثّر عليها أحد الناس كفرد من أفراد أسرتها أو إحدى صديقاتها وغير ذلك..أو قد يكون السبب في ذلك زوجها، فهو دائماً يستنكر لباسها ولا يُثني عليها..قد يكون قد أصابها الفتور وقلت همتها..فبعض الفتيات قبل زواجهن تراهن محتشمات محافظاتٍ علي لباسهن الشرعي وحافظاتٍ لكتاب الله، وقد يتقدم لها انسان غير مناسب لها أو ليس علي توافق ديني معها، فهو يؤثر عليها بشكل سلبي فتتنازل عن مبادئها وتراها في يوم زفافها ترقص أمام كل الناس علي المسرح بهدف (ليلة العمر – ليلة مش هتتكرر – دي ليلة في العمر – دي فرحة العمر..الخ) هذا قد يحدث إذا تقدم لها شخص غير مناسب فقد يؤثر عليها..أما إذا تقدم لها شخص مناسب قد يؤثر عليها بالإيجاب، وقد تتأثر

هي بمن حولها من أفراد أسرتها، فتتنازل عن مبادئها شيئاً فشيئاً حتي تدب المشكلات بينها وبين زوجها، ومن هنا عدم الاستقرار في الحياة الزوجية.

فالتنازل عن المبدأ قد يُغضب الزوج جداً.. لأن هذا المبدأ ذو أهمية كبرى عند الزوج وهو الذي اختار زوجته عليه فهو يجب أن يراها بخمارها ولباسها المحتشم.. واعلم أن الملبس ليس دليلاً كاملاً على حُسن سيرة الإنسان وتدينه.. لكن قد يكون نقطة جوهرية ظاهرة في شخص الإنسان.. والظاهر أحياناً نراه جميلاً ورائعاً، ولكن الباطن قد يختلف تماماً عما يكون بالداخل.. لكننا كبشر لا نعلم بواطن الناس فلنتركها لله عزوجل.

فالغرض من هذا الأمر..هو أن الثبات على المبادئ من البرامج التي تساعد الزوجين على استقرار الحياة الزوجية، وهى تطرد الخلافات والمشكلات الزوجية المعقدة، والتي من شأنها هدم الأسرة؛ بل وتدميرها وإبادتها إبادة كاملة.:

قوة الشخصية هي: الثبات على المبادئ و الإتزان في التعامل والثقه في النفس.. إيجابياً.

تفاؤل عظيم

أنتما كزوجين ربما تجلسان بجوار أشخاص لهم مشكلة فى الزواج أو أنهم يعانون دائماً من متاعب الزواج أو أنهم دائماً يشكون المصاريف، وضغط الحياة، ومطالب الأولاد، وزخم الحياة عليهم.. فبماذا تشعرون..؟!! أظن أنكما قد كرهتما حياتكما؛ بل وقد كرهتما الزواج نفسه.. وأحسستم أن الزواج شيء ثقيل.. ومسئولية عظيمة.. وهموم كالجبال.. أظن أنكما قد شعرتما بضيق فى الصدر.. وسرعة فى ضربات القلب.. ورعشة فى الجسم..واحتباس الدموع داخل العينين..!! ولكن لماذا كل هذا..؟!! لماذا هذا التشاؤم الذى يَشعر به هؤلاء الأزواج وهؤلاء الزوجات..؟!!

كيف نريد استقرار حياتنا الزوجية ونحن ننظر إلى هذه الحياة بتشاؤم، وبعين القلق والتوتر.. وربما قد ننظر إلى هذه الحياة من الناحية السلبية من الزاوية الصغرى التى هى هناك.. ننظر الى النقطة السوداء الصغيرة فى هذه الصفحة الكبيرة المليئة بالبياض..؟!! فلابد أن نلاحظ أن جزءاً كبيراً من تصرفاتنا ناتج عن تفكيرنا؛ بل كل تصرفاتنا وأفعالنا هى نتاج تفكير مسبق وتدقيق فى الأمور..؟!! هل يُعقل أن إنساناً قد يتصرف فعلاً من الأفعال دون أن يفكر أو حتى دون أن تُعرض هذه الفكرة على العقل..؟!! لا؛ بل كل شيء وكل فعل نتصرفه هو نتيجة أفكارنا.. فتخيل معى أن تفكيرنا سلبى ونظرتنا تشاؤمية..!! إذن..فكيف ستكون أفعالنا وتصرفاتنا.. ؟!! بالطبع ستأخذ الطابع التشاؤمى وستكون حياتنا كلها تشاؤم وضيق وهموم.

ولماذا ونحن نريد الاستقرار وراحة البال والهدوء..!! وكيف يأتى ذلك إلا بنظرة تفاؤلية..؟!! إذن.. يجب على الزوجين اذا أرادوا استقراراً حقيقياً

لحياتهما الزوجية.. عليهما أن يكونا متفائلين وأن يكونا لديهما قناعة بأن كل ما يحدث لهما هو من عند الله عزوجل..إذن ففى جميع الحالات هو خير لهم.

قد يكون التفاؤل مرتبطاً بالظروف الراهنة للزوجين، فالأحداث من حولهما تؤثر على تفاؤلهما وتشاؤمهما، سلبيتهما وايجابيتهما.. فمثلا فى دولة العراق أظن أن نسبة تفاؤل الزوجين أقل بكثير ممن يعيشون فى أمن وسلام..وهذا مما أكده لي الدكتور خالد نعيم المقيم بدولة العراق فقال ((لا تفاؤل بين الزوجين فى العراق بسبب الأوضاع الراهنة فى البلد وفى المنطقة بسبب الحروب والصراعات)) وهذا مما لا شك فيه أنه جزءاً كبيراً من الأزواج هناك..لكن هناك أزواج وزوجات متفائلين رغم هذه الظروف العصيبة التي يمران بها.

فعلاً قد يكون الواقع صعباً، وأنه يُطالبنا دائماً بالدخل المادي المستمر، وأن مطالب هذه الحياة قد ازدادت، وتحتاج منا إلى أن نكد ونتعب ليلاً ونهاراً..لكن ليس مطلوب منا أن نتشاءم ونُسيئ الظن في الله..فالله سبحانه وتعالي هو الذي قدر ذلك الأمر وهو وحده الذي يعلم الحكمة من ذلك الأمر..فعلينا بالتفاؤل وإحسان الظن بالله جل وعلا.

كيف نريد استقرار حياتنا الزوجية ونحن ننظر إلى هذه الحياة بتشاؤم، وبعين القلق والتوتر، وربما قد ننظر إلى هذه الحياة من الناحية السلبية من الزاوية الصغرى التى هى هناك.. ننظر الى النقطة السوداء الصغيرة فى هذه الصفحة الكبيرة المليئة بالبياض..؟!! لابد أن نلاحظ أن جزءاً كبيراً من تصرفاتنا ناتج عن تفكيرنا؛ بل كل تصرفاتنا وأفعالنا هى نتاج تفكير مسبق وتدقيق فى الأمور..؟!! هل يُعقل أن إنساناً قد يتصرف فعلاً من الأفعال

دون أن يفكر أو حتى دون أن يعرض الفكرة على العقل..؟!! الحقيقة لا.. بل كل شيء وكل فعل نتصرفه هو نتيجة أفكارنا.. فتخيل معى أن تفكيرنا سلبى ونظرتنا تشاؤمية.. فكيف ستكون أفعالنا وتصرفاتنا..؟!! بالطبع ستاخذ الطابع التشاؤمى وستكون حياتنا كلها تشاؤم وضيق وهموم.

ولماذا ونحن نريد الاستقرار وراحة البال والهدوء وكيف يأتى ذلك إلا بنظرة تفاؤلية..؟!! إذن يجب على الزوجين إذا أرادوا استقراراً حقيقياً لحياتهم الزوجية عليهما أن يكونا متفائلين.. وأن يكونا لديهم قناعة بأن كل ما يحدث لهم هو من عند الله ففى جميع الحالات هو خير لهم.

التفاؤل هو النظرة إلى الحياة من خلال منظار وردي بهيج ورائع وجميل.. فالشخص الذي يتقبل الحياة بصدر رحب هو الذي يستطيع أن يُواجه التحديات بهمته و نشاطه، و يتغلب على الصعوبات، ويجتاز الأزمات التي تعترضه في مختلف مواقف الحياة. ويعرف كيف يتعامل مع غيره من الناس بصرف النظر عن مواطن القوة أو الضعف لديهم.سواء أطلقنا على الزجاجة أنها نصف فارغة أو ممتلئة.

فإن هذا لن يغير من طبيعة محتوياتها. ليس معنى التفاؤل هو محاولة رؤية الجانب المشرق فقط من الحياة ؟ فان أحاسيس الألم والخوف والتردد والأسف والشك مألوفة لدى المتفائل. مثلها مثل مشاعر الفرح والبهجة والسعادة والرغبة في التمتع بالحياة.

الطريقة الخاصة في معالجة المشاكل والأزمات سواء كانت في محيط العمل، أو الأسرة، هي التي تميز الشخص ذا النظرة المتفائلة من ذلك الشخص الذي لا يعرف كيف يتصرف، إن موقفنا تجاه هذه المشكلات هو في الواقع أكثر أهمية مما نظن، فإن المتفائل أيضآ يقابل أزمات ومواقف

عصيبة من وقت لآخر،ولكنه لا يسمح لنفسه بالإنغماس في الشعور بالحسرة والأسى ولا يؤثر تأثيراً سلبياً على غيره من الأشخاص، كما أنه لا ينتظر من الأخرين أن يتقدموا إلى مساعدته أو يسارعوا بحل مشاكله، فإنه هو الذي يثير في نفسه روح النشاط و القوة الإيجابية. وإذا كانت أفكارنا متمركزة دائماً على دواعي القلق والإضطراب والعوامل السلبية فإننا بهذا نقتل روح الحماس في أنفسنا، ونقضي على نشاطنا وحيويتنا، إذ أن الشخص الذي لا يكف عن الشكوى والتذمر والضجر بكل شيء يسمم روحه ومعيشته. عندما نتخلى عن هذه السلبية، ونجعل أفكارنا إيجابية فإننا نجني من وراء ذلك فائدة كبيرة ونمتلىء بالحيوية والنشاط والحماس إلى درجة لم نكن نتوقعها.

لا شك إننا نختار لأنفسنا الأسلوب الذي يُشكل حياتنا، وما ينطوي عليه من شعور بالسعادة، وموقفنا من مختلف الأزمات والمشاكل التي تواجهنا من يوم إلى آخر : هل ندعها تتغلب علينا..؟!! أم أن نحاول نحن أن نتغلب عليها.. ؟ الحقيقة أن التفاؤل يملؤنا بشحنة عظيمة من الحماس والقدرة على الابتكار والتفكير الخلاق...

قال ﷺ : ((لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، ولا نوء ولا غول، ويعجبني الفأل ، قالوا: يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة))[٧٧]

إضاءة : الطباع ليست واحدة بين الزوجين. فلا تتوقع من شريك حياتك أن يكون كماتتمنى ! الواقع يمنحك التفاؤل والتوقع يزيدك قلقاً..

(٧٧) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء، برقم ٢٢٢٢.

شخصية مؤثرة

حينما طرحت فكرة الاستبيان على أحد الأزواج رفض تماماً أن يُجيب على الأسئلة.. ورفض أيضاً أن يجلس معى لعمل دراسة ميدانية عن حياته الزوجية، مع أنى قد وضحت له الفكرة جيداً، وقلت له : إن هدفى فى هذه الدراسات الميدانية التى أعقدها مع الأزواج هى اكتشاف أسباب المشكلات الزوجية، واستنتاج أفكار جديدة تساعد على استقرار الحياة الزوجية، والتعرف على مشاكل الزوجين المتكررة مع جميع الأزواج والزوجات.. فعندما قرأ ورقة الاستبيان وقرأ السؤال المطروح وهو ((هل تُقبل زوجتك بشكل دائم..؟!! وأظن ان العقول المتعلمة والراقية ستفهم الغرض من سؤالى.. فليس هدفى معرفة خصوصيات الناس.. ولكن هذا الزوج فهم السؤال علي أنه عيب وخطأ، وهذا تدخل فى خصوصيات الزوجين.. فقلت له : إن النبى – صلى الله عليه وسلم – كان يُقبل زوجاته..!! والسيده عائشة قد اعترفت بذلك فهل هذا افشاء لسر الزوجية..؟!! أم أنه توضيح للأزواج للاقتداء بهذا السلوك.

فالذى أريد أن أُوضحه هو أن شخصية بعض الأزواج هى السبب فى عدم استقرار الحياة الزوجية لاقتناعها الكامل بأن الكلام عن الحب والرومانسية والمعاملة الرقيقة للزوجة هو فى حد ذاتها عيباً وسراً لا يمكن افشاؤه.. (لكن الذي يحرم افشاؤه هو ما يدور بين الزوجين في العلاقة الحميمية) وهذا قد يختلف من إنسان لآخر.. بحسب درجه فهمه ووعيه وثقافته وتطبيقه لهذا الأمر فى بيته مع زوجته.. وفى وجهه نظرى أن مادام الزوج غير مُتقبل للحديث فى هذا الموضوع فأنا أظن أن هناك جفاء وعدم

مرونة فى ذلك الأمر مع زوجته، لأن الانسان المقتنع بالشيء يتحدث به أمام الناس اذا سُئل فيه، ويوضحه بهدف التعليم والاقتداء بهذا السلوك، وما دام أنه يعتبر من باب العلم والدين ولا يضر بالشرع أو العُرف أو غير ذلك فلا بأس به.. فنحن نحتاج إلى مرونة أكثر حتى نصل إلى الاستقرار فى حياتنا ونصل اليها كما يجب أن تكون.

يقول الدكتور خالد نعيم..((لابد للزوج أن تكون له شخصية تميزه عن غيره، والزوجة هى من تدفع الزوج لأن يكون ذو شخصية مميزة أمام الناس فى المجتمع)) فعلاً..الزوجة لها دور كبير في بروز شخصية زوجها..لأن الزوج المتمتع بزوجته والمستريح معها والملبية لطلباته وأوامره يظهر ذلك علي شخصيته، فهو يتمتع بثقة في نفسه، ويدافع دائماً عن النساء، ويهتم بزوجته؛ لأنها استطاعت وعرفت كيف تحتويه..؟!! والرجل أيضاً به الصلاحية في ذلك الأمر فهو مدير للعلاقة..بحكمته وجمال كلامه يستطيع أن يجذب زوجته، أن يجعلها تحبه حباً جما..وكل ذلك يختلف من شخصية لأخري، فبين الرجال شخصيات مختلفة..وأفضل الشخصيات هي من تقتدي بنبيها – محمد ﷺ – كزوج، وبأمهات المؤمنات كزوجة..فشخصية الزوجين لها دور بارز ومهم جداً في استقرار الحياة الزوجية واستمرارها وكما يجب أن تكون.

خُلق نبيل

دائماً صاحب الخلق الرفيع شأنه وقدره عالي، ومكانته محفوظة، وسمعته طيبه؛ فما بالك إذا كان الزوجان أصحاب خلق رفيع يتعاملان مع بعضهما البعض بأرقى درجات الأخلاق وأرفعها؛ بينهما الاحترام والتقدير، بينهما الصدق والصراحة، بينهما العفو والتسامح، بينهما العذر والاعتذار، فما بالك إذا طبق الزوجان هذه الأخلاق فيما بينهم فكيف ستكون حياتهم..؟!! وانظر كيف سيكونوا سعداء..؟!! والأهم من ذلك كله أنه سيكون بينهما استقرار واستمرار في حياتهم الزوجية.

للأسف الشديد انتشر بين معظم الأزواج اليوم سوء الأخلاق ووقاحة الألفاظ، فبمجرد حدوث مشكلة بسيطة كل منهما يتطاول على الآخر بالألفاظ السيئة والقبيحة التي تدمر النفوس..!! ذات يوم تدخلت لحل مشكلة زوجية فحينما سمعت للزوجة قالت لي : هو يقلل من شأني أمام الناس، ويشتمني أمام أهل بيتي، ويقبح سمعتي أمام الناس، ويضربني ويشتمني بأقبح الألفاظ..إذن ليس بينهما استقرار واستمرار للحياة الزوجية، فالمطلوب من أى زوجين يريدان استقرار واستمرار حياتهم الزوجية أن يتخلقا بالأخلاق الحسنة والرفيعة حتي ينتشر الحب بينهم والمودة والألفة؛ وبذلك قد نحكم على حياتهما بالاستقرار والاستمرار وهذا ما نريد أن نصل إليه في هذا الكتاب.

ففي حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺسئل عن أي النساء خير..؟ فقال : " التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره " (٧٨)

ففي تركها مخالفته ومعارضته حفاظ على سلامة الأسرة من كثرة الخصومات، التي تجعل العلاقة بين الزوجين متوترة، والحياة قلقة.

عن الْحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ، أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَاجَةٍ، فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: " أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ..؟ ". قَالَتْ :نَعَمْ. قَالَ : " كَيْفَ أَنْتِ لَهُ..؟ ". قَالَتْ : مَا آلُوهُ (ما أقصر في حقه..؟) إِلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ. قَالَ :" فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ، فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ " (٧٩)

بل ورد ما يدل على سمو الزوجة الفطنة الصالحة، التي تحسم الخصام في يومه، فتقطع عليها مداخل الشيطان، ونزغات النفس الأمارة بالسوء، وتطرد العناد والمكابرة، فما تبيت ليلتها حتى تأخذ بيد زوجها، فتسأله عما يغضبه، وتتودد إليه، وتصالحه، فما يزيدها ذلك إلا رفعة عنده، تكبر في عينه، وتتربع تاج قلبه. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –:" ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة..؟ الودود، الولود، العؤود، التي إذا ظُلِمَتْ (هكذا ضبطها المناوي) قالت : هذه يدي في يدك، لا أذوق غُمضا حتى ترضى" (٨٠) وفي رواية صحيحة : " التي إذا غضب، جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول : لا أذوق غُمضاً حتى ترضى". وفي رواية ثالثة : " إذا غضبت أو أُسيء إليها

---

(٧٨) صحيح سنن النسائي.

(٧٩) أحمد وهو في صحيح الترغيب.

(٨٠) صحيح الجامع.

(أو غَضِبَ زوجها) قالت : هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغُمض حتى ترضى."

فهذه هي لمحة أسرية لكثير من الزوجات اللاتي يُسئن التصرف حيال المشكلات؛ فالبعض منهن إذا حدثت مشكبة بينها وبين زوجها تترك البيت مسرعة إلي بيت أبيها، فلربما تمكث هناك بالأسابيع والشهور، ويأتي الزوج ويقول : أنا لا أذهب اليها أبداً..!! فكما خرجت تأتي وحدها..وتقول الزوجة : أنا لا أرجع حتي يأتي هو ليأخذني..!! ويظلون هكذا يعاندان بعضهما البعض، وقد تنتهي المشكلة بالانفصال والطلاق.

لكن انظر إلي دأب نساء السلف. قالت سُعْدى زوجة طلحة بن عبيد الله : " دَخَلْتُ يوماً على طلحة، فرأيت منه ثِقَلاً، فقلتُ له : ما لكَ..؟ لعلَّك رابَك منَّا شيءُ فُنعْتِبَكَ (نعتذر إليك)..؟ ". قال : لا، ولَنِعْمَ حَليلةُ المرءِ المسلمِ أنتِ، ولكن اجتمع عندي مال، ولا أدرى كيف أصنع به..؟ قالت : وما يَغُمُّكَ منه..؟ ادْعُ قومك، فاقسِمْهُ بينَهم" [٨١]

فانظر إلى هذه المرأة العاقلة، كيف اتهمت نفسها حين رأت زوجها مهموماً مغموماً حزيناً، خوفاً من أن تكون هي السبب في همه وغمه وحزنه، وكيف شاركته في البحث عن حل لتبديد حزنه..؟، وتذويب كربه، لعلمها أنها لا تؤدي حقَّ ربَّها حتى تؤدِّي حقَّ زوجها – كما أقسم عليه النبي ﷺ)[٨٢]

فليست الزوجة سوى ضيف عند زوجها في الدنيا، يوشك أن يفارقها ليحظى عند الله – تعالى– بحور الجنة. يقول النبي - صلى الله عليه وسلم :–

---

(٨١) صحيح الترغيب.

(٨٢) صحيح سنن ابن ماجه

"لاَ تُؤْذِى امْرَأَةٌ زَوْجَهَا إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لاَ تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا"[٨٣]

يقولون : إن توفر الأخلاق الحسنة ومتى التقت هذه الصفات الحسنة بين الزوجين وتكاملت وتمازجت، فالثمرة أسرة سعيدة، ونشْء سوي رضع لبن التربية الحسنة.

(٨٣) صحيح سنن ابن ماجه.

كرامة وعزة

كل إنسان له كرامة وله عزة يريد أن يحافظ عليها، ولا يسمح لأحد كائناً من كان أن ينتهك هذه الكرامة وهذه العزة حتى ولو كان هو أحد الأقارب، أو أعز الأصدقاء أو غير ذلك.. لكن مما نراه اليوم في مجتمعنا هذا بل قد أراه من وجهة نظري قد ازداد هذا الموضوع وانتشر بين الأزواج والزوجات في البيوت هو أن الكرامة تُنتهك بين الزوجين مما أدى إلي جفاء القلوب وتوتر العلاقة بل وسرعة انفصالهما وانتهائها وقد تكون هذه العلاقة لا تتعدي السنوات.

مما قد انتشر من بعض الأزواج بإهانة زوجاتهم والتقليل من شأنهن، وشتمهن شتيمة تؤذى مشاعرهن، بل وتقتلها قتلاً شنيعاً، وربما هذه الشتيمة وهذه الألفاظ التي يتلفظ بها الزوج لا تستطيع سماعها أنت كإنسان لديك كرامة وعزة ولديك مبادئ وقيم قد تربيت عليها. لكن نقول أن الزوجة قد لا تتحمل أبداً أن يهين الزوج كرامتها، نعم قد تصبر على هذا الزوج الذي يهين كرامتها لكن يأتي اليوم الذي قد تنفجر فيه وتطوح بمن حولها.

ذات يوم قد تدخلت لحل مشكلة زوجية قد استصعب حلها علي الجميع، ومما لمسته وسمعته من الزوجة أنها تقول : ان زوجي يهين كرامتي ويقلل من شأني أمام الناس، بل ويشتمني شتيمة تنفر من سماعها الأذان.. مما قد ضاق صدرها وكرهت العلاقة بينها وبين زوجها، وحدث الإهمال،

وحدث الملل، وتوترت العلاقة الزوجية، وغير ذلك من الأسباب التي ترتبت على هذا الموضوع.

ولكن حتى نحافظ على استقرار واستمرار حياتنا الزوجية وكما يجب أن تكون مطلوب منا أن نحافظ على كرامة بعضنا ولا نهينها لأى سبب كان، لأن الزوجة هي أمانة عند الزوج، ولو يعلم والدها ما سيقع لها من الاهانة من زوجها لما زوجها له، قد تكون الزوجة مُخطئة في بعض الأمور، ولكن لم يرد دليل واضح علي أن نعالج الأخطاء بإهانة النفس وانتهاك كرامتها.

تعتبر كرامة الإنسان من الأمور المهمّة التي يحرص على صونها الفرد، و قد كرّم الله تعالى سيدنا آدم حين خلقه حين أمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لخلقه، وكرّم ذرّيته حين استخلفهم في الأرض و جعلهم مكلّفين بعمارتها وفق منهج الله تعالى، قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ (٨٤)، فالإنسان قد حاز شرف التّكريم من ربّ العالمين فلا يحقّ لأحدٍ أن يهين كرامته أو يعتدي عليه، و لأجل ذلك منع الله تعالى الظّلم الذي يقع على الأفراد و يمتهن من كرامتهم، و قد كان النّبي ﷺ خير قدوةٍ للبشريّة جمعاء في حفظ كرامات النّاس، فقد كان يحترم الكبير و يوقّره، و يعطف على الصّغير واليتيم و يحنّ عليه و يكرمه، و لقد عبّر أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله عليه الصّلاة و السّلام عن خلق النّبي

(٨٤) الاسراء : ٧٠

الكريم في تعامله معه حيث قال، لقد خدمت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عشر سنين، فما قال لي أفٌ قط، و لم يقل لشيءٍ فعلته لم فعلته، ولا لشيءٍ لم أفعله ألا فعلته، و لا شكّ بأنّ تعامل النّبي الكريم مع النّاس يمثّل أرقى و أسمى صور التّعامل الإنساني.

((وإنّ الإنسان المسلم يسوؤه أن يتعرض للإهانة من غيره، و تراه يغتمّ لذلك و يحزن، و خاصّةً إذا امتهنت كرامته من قبل إنسانٍ ظالمٍ أمام النّاس، و لا شكّ بأنّ المسلم مطلوبٌ منه الانتصار لنفسه بدفع الباطل و الأذى، و الذّب عن عرضه و الدّفاع عن صورته الحسنة أمام النّاس، و لا يكون ذلك إلا حين يكون المسلم محافظاً على علاقته بربّه، متمسّكاً بحبل الله المتين، و إن أثر علاقة المسلم مع ربّه تظهر آثارها على شخصيّة المسلم بحيث يكتسب هيبةً في نفوس النّاس تجعل النّاس يحترمونه و يوقّرونه دائماً، كما أنّ من وسائل حفظ كرامة الإنسان أن يبتعد عن مجالسة الجهلاء ضعاف الأنفس ففي مجالستهم إسقاط لهيبة الإنسان، كما قد تجرّىء النّاس للنّيل من كرامته، و أخيراً نقول أنّ أهمّ شيءٍ لحفظ الكرامة هو حفظ الله تعالى و أن نضع دائماً نصب عيننا شعار، احفظ الله يحفظك.)) [٨٥]

مؤلم جداً.. أن ينهار بنيان منزل، ويتشتت أطفال بسبب مشاكل صغيرة وتافهة بين الزوجين وذلك بحجة الكرامة أو عزّة النفس أو مَن لابد أن يعتذر.

(٨٥) طلال مشعل – موقع موضوع اقرأ عربي

تنازل مقصود

لا يوجد بيت على وجه الأرض يخلو من المشكلات والخلافات والمشاحنات، لكن الغريب جداً والمنتشر بين معظم الأزواج عند الخلافات والمشكلات هو العناد والتصميم على الرأى وعدم التنازل، وهنا قد تتفاقم المشكلة أكبر من تفاقهما، قد يختلف الزوجين في أمر ما وفى رأى ما أو تحدث بينهما مشكلة بسيطة جداً أو قد يحدث بينهما على الأقل سوء تفاهم فترى الزوجين مصممين على ألا يتنازلوا عن آرائهم وكأنهم يريدون أن يثأروا من بعضهم البعض وبهذا الفعل الشنيع قد يصل الأمر بهم إلى طريق مسدود، وتبدأ تتشعب المشكلة ويزداد حجمها وتنتقل إلى الأهل وكل طرف منهم يبدأ يدافع عن ابنه، فقد لا يحكم بالحق والإنصاف لكن الانتماء والعصبية تدفعهم إلى المحاماة الظالمة بدون أن يسمعوا إلى بعضهم وبدون أن يتفهموا الأمور جيداً.

لكن الذي أريده وأشجع عليه جداً عند حدوث مشكلة بين الزوجين هو ألا تخرج هذه المشكلة خارج غرفة النوم وليس خارج المنزل وهذا دليل على السرية التامة وذلك حفاظاً على مستقبل الأسرة وكيانها، وأن يتنازل طرف للآخر والهدف من التنازل هو سير المركب وعدم إغراقه لشيء بسيط قابله، وبعد أن يفيق الزوجين من ثورة الغضب التي حدثت بينهم نبدأ بالحوار البناء والمصارحة اللطيفة، وهذا ما تكلمت عنه في برنامج سابق في هذا الكتاب، فما أن يبدأ الطرفان الحوار البناء والمصارحة الجميلة حتى يصنعوا قواعد وحدود لمشكلتهم، وبهذا قد نحكم على هذه الأسرة بالاستقرار والهدوء والاستمرار وعدم الانهيار.

التنازل بإمكانه حل مشكلات كثيرة.. فمبدأ التنازل يختلف باختلاف الأشخاص والشخصيات.. ويختلف أيضاً باختلاف الدول ونشأتها، قد يكون مبدأ التنازل مُفعل فى السعودية ولكن ليس بشكل دائم نظراً للمجتمع القبلى.. واذا نظرت فى مصر خصوصاً في الأرياف والقرى لرأيته منتشر جداً عند المرأة فهى تتنازل عن أشياء كثيرة بحجة الحفاظ على استقرار الحياة، وعدم التفرقة، وتربية الأولاد وغير ذلك.. فالتنازل مطلوب من الزوجين حتى تستقر الحياة الزوجية وكما يجب أن تكون.

العلاقة الزوجية هي علاقة متعددة الجوانب، بمعنى أنها علاقة جسدية ، عاطفية ، عقلية ، اجتماعية وروحية ، ومن هنا : وجب النظر إلى كل تلك الأبعاد في الحياة الزوجية بتوازن وإيجابية وشمولية؛ فلا نهمل أي جانب، أو يطغى جانب على آخر؛ لأنها علاقة يفترض فيها أن تكون مستمرة، وهى ليست قاصرة على الحياة الدنيا فقط، وإنما قد تمتد أيضاً للحياة الآخرة. لذا كانت الحياة الزوجية : علاقة متينة، ورابط قدسي بين الزوجين، أساسه المودة والرحمة والتفاهم، والمشاركة النفسية والوجدانية بينهما.

يقول الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ (٨٦)

يقول سيد قطب في الظلال مفسِّراً الخلق من نفس واحدة والسكن في هذه الآية: "**فهي نفس واحدة في طبيعة تكوينها، وإن اختلفت وظيفتها**

---

(٨٦) (الأعراف : ١٨٩).

بين الذكر والأنثى، وإنما هذا الاختلاف ليسكن الزوج إلى زوجه ويستريح إليها، وهذه هي نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان ووظيفة الزوجية في تكوينه".

إن لكل إنسان شخصيته المميزة رجلاً أو امرأة، ونظرته الخاصة إلى الحياة، وهذا الاختلاف ليس صفة مذمومة أو قبيحة؛ بل على العكس، فالاختلاف من سنن الحياة؛ وبما أنه كذلك : فعلى الزوج والزوجة أن يتوقعاه، ومن ثم يتقبلاه فلا يغضب الزوج عندما يرى زوجته ترى رأياً مخالفا له. وكذلك لا تشعر الزوجة بالإحباط والتذمر من زوجها عندما يفسر الأمر مختلفا عنها.

إن تقبل الاختلاف لا يعني أن وجهة نظر الزوج أقل أهمية من زوجته أو العكس؛ وإنما على الزوجين أن يتقبلا الاختلاف حتى لا تصاب الحياة الزوجية بالإحباط واليأس من عدم اتفاق الزوج والزوجة في كل شيء.

وهذا التقبل نوع من التنازل الجميل بين الزوجين، فقد يتمسك الزوج بأفكاره وآرائه ونظرته للأمور، وفي الوقت نفسه يبدي الاحترام والتقدير والتفهم لآراء زوجته. وكذلك قد تحتفظ الزوجة بأفكارها وفي نفس الوقت تبدي الاحترام والتقدير والرضا لآراء زوجها. فلا تسفهه أو تنقص من قدره.

فالحياة رغم بساطتها إلا إنها أحيانا تبدو شديدة التعقيد؛ فلا يمكن للزوج أن يفعل ما يريد وقتما يريد. وكذلك تلتبس على الزوجة الأمور، حيث لا يقوم الزوج بالأشياء التي تريدها؛ لذا كان لا بد من التنازل عن بعض الحقوق.والتنازل ليس نقصا أو تقليلا من شأن المتنازل أو قبحاً في صفاته؛ بل على العكس: هو قوي بإرادته التي جعلته يتنازل عن شيء؛ مقابل تحقيق نتيجة إيجابية.

فكلما تنازل الزوج أو الزوجة عن حاجاته، سواء كان التنازل في نتائج الجدال والنقاش والأمور الفكرية، أو الأمور المادية، كقطعة حلوى واحدة بيد الزوج يتركها لزوجته : كلما كان أقدر على تحصيل الرضا من الله، وتلقي الحب من الطرف الآخر. وهنا تكمن الشجاعة في قوة الاختيار بين ما يريد الزوج، وما تريده الزوجة.

وهذه الشجاعة تدل على حب المتنازل لذاته ولمن معه، فهو ليس أنانياً أو معانداً إذ إن العناد والتصلب والجمود وعدم المرونة تخنق الأسرة وتدمرها، وتجعل المناخ معكراً، فلا مودة ولا حب ولا حنان؛ وإنما صراع وجدال بلا ثمرة من ورائه، ووضع للكبرياء في غير محله، وتحقيق لانتصارات زائفة لا مكان لها إلا في عقل صاحبها.

ومن هنا فإن التنازل بين الزوجين: هو خطوة للوصول إلى الحياة الزوجية المتكاملة نوعاً ما ، فبعد الحوار والمناقشة بين الزوجين؛ لا بد من الوصول إلى حل وسط بين الزوجين ، والتقارب بين الأفكار ، فإذا كان هناك اختلاف كلي بين الزوجين عليهما الجلوس والنقاش والمحاورة، في ظل فقه الخلاف الزوجي والاستيعاب الزوجي؛ ليتوصل الزوجان إلى الحل الأمثل وبالتالي يوصل كل طرف فكرته للطرف الآخر. فعندما يتنازل أحد الزوجين بعد اقتناعه بوجهة نظر الآخر . المخالفة لوجهة نظره . يكون هناك تقارب بين الأفكار، ومع تقدم الزمن: ستصبح الآراء متقاربة نتيجة لفهم كلا منهما الآخر.

وفي حال تصحرت الأجواء، وتعند النقاش فلا تنازل ولا مناص؛ فلا مانع من الاستعانة ممن نجدهم من أهل الرأي والمعرفة من الأصدقاء، أو

الأهل، أو أحد العلماء المسلمين ، ومن ثم : عرض الموضوع عليه، إذ لا ضير في بذل كافة الجهود للوصول بالحياة الزوجية إلى بر الأمان.

وباختصار: إن التنازل عن بعض القناعات، أو الأفكار بين الزوجين ما لم تمس الثوابت : شيء مهم لابد منه إذا كان سيوصل الأسرة إلى بر الأمان، ويساعد في بناء أسرة مسلمة، همها : إعلاء كلمة الله، والالتزام بتعاليم رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم. (٨٧)

إضاءة : في حالة وجود مشكلة بين الزوجين، تنازل أحد الزوجين لا يعد ضعفاً أو تقليلاً من قدره، بالعكس هذا أمر أساسي في العشرة بالمعروف بينهما.

(٨٧) موقع لها اون لاين – وائل بركات – – 03 ذو القعدة – ١٤٣٠ هـ| ٢١ – اكتوبر – ٢٠٠٩ – بتصرف

تضحية وإيثار

الحياة الزوجية ليست مسألة قائد يريد أن ينتصر.. وليست مسألة أقوى وأضعف.. وليست مسألة نصر وهزيمة.. الحياة الزوجية شراكة بين اثنين.. يخافون علي هذه الشراكة التي هي بينهم..يخافون عليها من الفشل.. يخافون عليها من الانهيار.. يخافون عليها من تصدع أركانها.. دائماً يضحون لنجاح هذه الشراكة.. وقد تتطلب التضحية من طرف واحد فقط في وقت ما، فهل هذا الطرف سيُضحي لنجاح هذه الشراكة أم أنه سيتعجرف ويقول أنا القائد، أنا لا أهزم أبداً، أنا لا أضحي أبداً، أنا لن أتنازل عن مبادئي وآرائي..؟!!

تخيل أن الحياة الزوجية بين الزوجين كانت هكذا فماذا سيكون مصيرها.. ؟ وكيف سيكون مستقبلها..؟!! إنها فاشلة.. بالفعل إنها فاشلة.. لن تنجح هذه الشراكة.. لن ينجح هذا الزواج.. وفي أول مشكلة بينهم يصعب حلها ستتصدع أركان هذه الأسرة وسرعان ما يتم الانفصال.

حياتنا الزوجية تحتاج إلى تضحية حتى تستمر.. فكلما كنا مُضحين ومُوثرون على أنفسنا في حياتنا الزوجية كلما كانت حياتنا الزوجية رائعة ومستقرة ومستمرة.. الذي يضحى هو المحبوب وهو المقبول وهو المخلص وهو الذي يساعد على نشر الخير والبر.. أيها الزوجين تنازلوا لبعضكم.. ضحوا لبعضكم بما تملكون.. فكلما فعلتم ذلك، كلما ازداد رصيدكم من الحب والود والاستقرار الأسرى الذي يتمناه أي زوجين عاشقين لبعضهما.

التضحية المتبادلة بين الزوجين ركن مهم من أركان السعادة الزوجية؛ ذلك لأن الحياة الزوجية بمعناها الحقيقي حياة عطاء، حياة قوامها واجبات على

كل طرف من الأطراف قبل أن تكون حقوقًا لكل من الزوجين، ومن ذلك كان لزامًا على كل من الزوجين أن يتنازل طوعًا عن كل ما كان ينعم به من حرية شخصية ومن استقلال قبل الزواج، وعلى كل منهما أن يضحي عن طيب خاطر، وأن يكون شعار الحياة الزوجية التضحية المشتركة، فلا يشعر أحد الزوجين بأنه يضحي في حين أن الآخر يشارك بالتضحية، ومن لم يكن لديه القدرة على التضحية، فعليه أن ينتحي ناحية من الجبل وينعزل عن الناس، وأن لا يطرق باب الزواج.

ولكي يتمكن الزوجان من الظفر بحياة زوجية سعيدة وهنيئة عليهما أن يتسما سوياً بالتضحية؛ لأن التضحية تعد من بين أهم أسرار نجاح العلاقة الزوجية، سواء تعلق الأمر بالمرأة أو بالرجل، فنجاح العلاقة الزوجية يعود بالأساس إلى تضحية أحد الطرفين، حتى تستطيع السفينة أن ترسي على بر الأمان، وعلى الزوجين أن يتفقا على أنه لنجاح العلاقة الزوجية لابد من تواجد التضحية في أحيان كثيرة، والتغافل في الكثير من الأحيان؛ لأن التفكير والتركيز والتدقيق في الأمور أو المشكلات الصغيرة يعد من بين الأشياء التي تلحق الضرر الكبير بالعلاقة الزوجية؛ كونها مشكلات لا تخدم البتة الزوجين.

البيت النبوي، والأسرة الربانية تربت على التضحية فهذه هاجر الأم والزوجة لم تتردد –رضي الله عنها– في البقاء وحدها وفي رقبتها رضيع في صحراء مقفرة لا تعرف ما يحمل لها الغد، ولكنها توقن بمن يملك اليوم والغد فتقولها صادقة لزوجها إبراهيم عليه السلام بعد أن قال لها: إن الله هو الذي أمر بهذا، إذن لن يضيعنا وانصرف إبراهيم عليه السلام عنهم وهو يدعو ربه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ

ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٨٨).

وهذه التضحية الممزوجة بالبر تتجلى في أسمى معانيها عندما سلَّم إسماعيل عليه السلام رقبته لأبيه ولم يخف لحظة وهو يقترب من الموت، وتدنو منه سكين أبيه الذي اعتصر هو أيضاً مشاعر أبوته وضحى بها انصياعاً لأمر الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (٨٩)

ولم يخلُ تاريخ النساء العظيم من روائع بالتضحية والإيثار، فقد ضحت أم سلمة –رضي الله عنهما– بشمل الأسرة، وتحملت فراق الزوج والولد في سبيل الهجرة إلى الله تعالى.

ولا يخفى جهد أسماء وعناؤها أثناء الهجرة وتضحيتها بابنها عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه– في سبيل نصرة الحق.(٩٠)

حقيقة : مع الأسف الناس يضحون في محيط الزملاء والأصحاب، ولكن بين الزوجين التضحية شبه غائبة.

---

(٨٨) (إبراهيم : ٣٧، ٣٨)

(٨٩) (الصافات : ١٠٢).

(٩٠) www.al-forqan.net

قناعة ورضا

تخيل أنك رُزقت بزوجة غير قنوعة.. لا تؤمن ولا ترضى بما تملك.. دائماً تتأفف وتتضجر وتسخط بما عند الزوج.. قد يكون الزوج فقير الحال، عمله بسيط، وراتبه بسيط، لكن رُزق بزوجةٍ تفتقد القناعة والرضا.. فهل تظن أن الحياة ستكون مستقرة بينهم..؟!! أظن لا.. الحياة ستكون متوترة تعيش حالة من القلق والحزن والضجر وعدم الراحة النفسية.

فمعظم البيوت التي تخلو من القناعة والرضا هي بيوت منهارة تماماً.. دائماً يعلو سقفها الصراخ، وترتفع الأصوات، ويعيشون حالة من الصراع المنزلي.. كلما وضع الزوجان رأسهما على الوسادة ليستريحوا أيقظتهم حشرة الطمع والأنانية وعدم القناعة، فظهر عليهما القلق والتوتر والعصبية وعدم الراحة النفسية.

لكن تعالوا بنا لننظر إلى البيوت التي يكون أهلها هم أصحاب قناعة ورضا هم مستقرين الحال راضيين بما عندهم، ويؤمنون بأن كل ذلك من عند الله قلوبهم مطمئنة، وبالهم مرتاح، ويعيشون في سلام داخلي واستقرار لحياتهم الزوجية.. بينهما الحب والود والألفة، علاقتهم سليمة وجيدة مع بعضهما.. ينامون وهم مطمئنين يعيشون حياتهم بكل سعادة واستقرار.

القناعة اصطلاحا هي الرضا بالقسم والقناعة من كمال الإيمان وحسن الإسلام، ودعا إليها سيد الأنام حيث قال ﷺ: " اللهم قنعني بما رزقتني،

وبارك لي فيه، واخلف على كل غائبة لي بخير" [٩١] يقول عليه الصلاة والسلام: " قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه" [٩٢]

أكدت الدكتورة هالة حماد استشارى الطب النفسى للأطفال والمراهقين، أن القناعة والرضا هما مفاتيح تحقيق السعادة بين الزوجين. وأضافت أنه لا يمكن أن يعيش الإنسان حياته كلها فى سعادة دائمة، لأنها متفاوتة ولكننا نستطيع أن نطلق عليها اسم لحظات الرضا والتفاهم والتوافق الزوجى .وقالت إن هذا التوافق يعنى حدوث حوار مستمر بين الزوجين، وإخبار كل منهما للآخر بالملاحظات والتصرفات التى تزعجه فيصل الطرفين إلى حل، مع علم كل منهما أن هناك أشياء نستطيع أن نغيرها فى شخصية الآخر وهناك أشياء لا يمكن أن نغيرها، وعليهما أن يركزوا دائماً على المميزات الموجودة فى الطرف الآخر أكثر من العيوب .

وأكدت الدكتورة هالة، أن كلمات الشكر البسيطة وتقدير عمل الآخر لهما تأثير السحر فى تذويب أى مشكلة تحدث بين الزوجين مُشيرة إلى أهمية أن يتأكد الطرفان أن الخصام هو عدو السعادة .وقالت إن لكل من المرأة والرجل احتياجات عاطفية لابد أن تُلبى، لافتة إلى أهمية أن يصارح كل منهما الآخر باحتياجاته دون خجل أو مواربة .وأوضحت أن هناك أشياء بسيطة تستطيع أن تدخل السعادة على قلوب الأزواج، أولها القناعة والرضا، فقضاء أوقات ولو قليلة مع بعضهم البعض فى حوار هادئ يُدخل السعادة عليهما أكثر من المال. [٩٣]

---

(٩١) رواه الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٩٢) رواه مسلم.

(٩٣) موقع جريدة اليوم السابع – الثلاثاء، ٢٦ يوليه ٢٠١١ ٠٥:٤٢ م

ذهب الصحابي الجليل حكيم بن حزام إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وسأله أن يعطيه من الأموال، فأعطاه. ثم سأله مرة ثانية، فأعطاه. ثم سأله مرة ثالثة، فأعطاه النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم قال له مُعلِّمًا: (يا حكيم، إن هذا المال خَضِرٌ حلو (أي أن الإنسان يميل إلى المال كما يميل إلى الفاكهة الحلوة اللذيذة)، فمن أخذه بسخاوة نفس (بغير سؤال ولا طمع) بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يَبَارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا (التي تعطي) خير من اليد السفلي (التي تأخذ). [٩٤]

إضاءة : " تقبل سلبيات الطرف الآخر، والتغاضي عن النقائص يعزز التوافق النفسي بين الزوجين فلا بد من القناعه ان الطرف الاخر له عيوب كما أنت لك عيوب أيضا "

يقولون : إن القناعة الشاملة بين الزوجين قبل عقد النكاح وتقبل العيوب والمزايا جملة وتفصيلاً من أهم وأبرز خطوات النجاح الأولى لحياتهما الزوجية.

---

(٩٤) (متفق عليه).

حكمة الزوجين

تكلمت مع أحد الأزواج وقلت له : أحتاج منك معلومات وخبرات فى الزواج لأنى بصدد كتابة كتاب عن استقرار الحياة الزوجية بين الزوجين، فأتمنى أن تمدنى بالخبرات التى مررت بها على مدار هذه السنوات..!!، علماً حينما جلستُ معه كان متزوج منذ ٢٥ سنة مضت (كان ذلك في عام ٢٠١٧م).

فأول شيء قاله لى هو : الحكمة، الحكمة فى الكلام، الحكمة فى الأسلوب، الحكمة فى التعامل، الحكمة في السؤال، الحكمة في الإجابة، الحكمة في الرد، الحكمة في الطلب، الحكمة في كل شئ.. فكلما كانت هناك حكمة عند الزوجين كلما كانت حياتهما أكثر استقراراً واستمراراً؛ لأن بالحكمة يعرفون كيف سيتعاملون مع بعضهما..؟!! لأن بالحكمة يعرفون متى يتكلمون ومتى يصمتون..؟!! وبالحكمة يعرفون كيف يحلون مشكلاتهم وخلافاتهم..؟!!

بيوت كثيرة بها من المشكلات والخلافات والأزمات؛ بل قد وصلت الى نقطة سوداء بسبب أنهم يفتقدون هذه الحكمة فى التعامل، وفى الكلام، وفى الأسلوب، وفى الصمت، وفي حل المشكلات، فى كل شيء. قد تكون الحكمة بها جزء فطرى، ولكن لها جزء كبير مكتسب من البيئة والنشأة، ولكن على الزوجين أن يكونوا حكماء مع بعضهم البعض، وهذا يرجع إلى مدى التفاهم والتوافق الذى هو بينهما، فكلما كانوا أكثر تفاهماً وأكثر توافقاً

كلما كانوا حكماء مع بعهم، لأنهم يخافون على مشاعر بعض، ويسعون لارضاء بعضهما بشتى الطرق.

إذن.. الحكمة فكرة من الأفكار العملية التى تساعد الزوجين على استقرار حياتهم الزوجية.. فبالحكمة قد يمنع الزوج مشكلات كبيرة بسبب أنه تغاضى عن زلة بسيطة حدثت من زوجها.. وبالمثل أيضاً الزوجة الحكيمة قد تمنع خلافات كبيرة بينها وبين زوجها بسبب أنها تغافلت عن كلمة أخطأ فيها الزوج، فبالحكمة تستقر الحياة بين الزوجين.

انظر إلي مواجهته ﷺ للمواقف المحرجة وبالذات موقف الغيرة بين أزواجه دروس عظيمة وعبر بليغة لكل الأزواج. فقد رأيناه صلى الله عليه وسلم يتعامل بهدوء تام دون عصبية أو انفعال مع وصف كل من حفصة وعائشة أختهما السيدة صفية باليهودية؛ إذ لم يزد على أن قال لحفصة : اتقي الله ياحفصة وقال لعائشة: لاتقولي هذا فقد أسلمَتْ. في حين أنه هجر السيدة زينب بنت جحش ثلاثة أشهر حينما وقعت في الخطأ نفسه.

ولعل مرجع هذا الاختلاف – في نظري والله أعلم – يعود إلى أنه من الواضح أن موقف كل من حفصة وعائشة كان في بداية زواجه صلى الله عليه وسلم بالسيدة صفية، ولعله وقع في ظنهما أنها لم تعلن إسلامها بعد، فتكفَّل النبي ﷺ بتوضيح الأمر وتأكيد إسلامها، في حين أن موقف السيدة زينب بنت جحش كان متأخراً جداً؛ إذ أنه كان قرب وفاة النبي ﷺ وفي طريق عودتهم من حجة الوداع على ما يظهر من سياق الحديث، فكان نعت

السيدة صفية باليهودية غير مبَرَّرٍ على الإطلاق لا زماناً ولا مناسبةً، ويحتاج إلى رد فعل قوي يعيد الأمور إلى نصابها فكان هذا الهجر طويل المدة نسبياً.

كما أن الحزم الشديد كان سيد الموقف في الحديث الثالث حينما وصلت الغيرة بالسيدة عائشة رضي الله عنها إلى حد الوقوع في براثن الغيبة المحرمة بالسخرية من قِصَر قامة السيدة صفية في غيبتها، فكان هذا الموقف النبوي الحازم وكانت هذه الجملة المعبرة عن شناعة الغيبة أيما تعبير: " لقد قلتِ كلمةً لو مُزجَتْ بماء البحر لمَزَجَتْه ".

أما في الحديث الثاني فقد وقع نتيجة للغيرة ضررٌ على أحد الأطراف، فكان من العدالة أن يصدر النبي صلى الله عليه وسلم حكمه العادل بالتعويض : " إناء بإناء وطعام بطعام".

وهكذا، ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى لكل الأزواج في كيفية مواجهة المواقف المحرجة وما أكثرها بين الأزواج والزوجات، فالحكمة تعني وضع الشيء في موضعه المناسب، بمعنى أن اللين له وقته والشدة لها وقتها، والحكيم هو من يحسن تقدير الموقف وتحديد رد الفعل المناسب له دون زيادة أو نقصان، فإذا لم يُراعَ ذلك وكان اللين على طول الخط، أو كانت القوة المنهج الوحيد المتبع، أو استُخدِمَ أحدهما في موضع الآخر، تفاقمت المشكلة، وقد

تستعصي على الحل، فيحدث مالا تُحمد عواقبه وتسير سفينة الحياة الزوجية وسط موجات متلاحقة من العواصف والأنواء.[٩٥]

قال النبي ﷺ (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسُلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)
صحيح البخاري

---

(٩٥) دكتور/ ياسر أبو شبانه علي الرشيدي – عضو هيئة التدريس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية – جامعة الأزهر / كلية أصول الدين بالمنصورة